

مقدمة

إِنَّ الْحَمْدَ لِلَّهِ؛ نَحْمَدُهُ، وَنُسْتَعِينُهُ، وَنَسْتَغْفِرُهُ، وَنَعُوذُ بِاللَّهِ مِنْ شُرُورِ أَنْفُسِنَا وَمِنْ سَيِّئَاتِ أَعْمَالِنَا، مَنْ يَهْدِهِ اللَّهُ فَلَا مُضِلَّ لَهُ، وَمَنْ يُضِلِّ اللَّهُ فَلَا هَادِيَ لَهُ، وَأَشْهَدُ أَلَّا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ.

أَمَّا بَعْدُ؛ فَإِنَّ أَصْدَقَ الْحَدِيثِ كِتَابُ اللَّهِ، وَخَيْرَ الْهُدَى هُدَى مُحَمَّدٍ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وَشَرُّ الْأُمُورِ مُحَدَّثَاتُهَا، وَكُلَّ مُحَدَّثَةٍ بَدْعَةٌ، وَكُلَّ بَدْعَةٍ ضَلَالَةٌ، وَكُلَّ ضَلَالَةٍ فِي النَّارِ.

ثُمَّ إِنَّ مِنْ نِعَمِ اللَّهِ عَلَيَّ هَذِهِ الْأُمَّةُ أَنْ أَكْمَلَ لَهَا دِينَهَا، وَأَتَمَّ عَلَيْهَا نِعْمَتَهُ، وَرَضِيَ لَهَا الْإِسْلَامَ دِينًا.

وَأَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مَا قُبِضَ إِلَّا وَقَدْ تَرَكَهَا عَلَى الْمِحْجَةِ الْبِيضَاءِ؛ لَيْلَهَا كَنْهَارُهَا، لَا يَزِيغُ عَنْهَا إِلَّا هَالِكٌ، وَمَا تَرَكَ خَيْرًا يَقْرَبُهَا إِلَى الْجَنَّةِ وَيُبْعِدُهَا عَنِ النَّارِ؛ إِلَّا وَدَّهَا عَلَيْهِ، وَلَا شَرًّا إِلَّا وَحَدَّرَهَا مِنْهُ؛ ﴿لِيَهْلِكَ مَنْ هَلَكَ عَنْ بَيْنَتِي وَيَحْيَى مَنْ حَيَّ عَنْ

بَيِّنَةٍ ﴿﴾ [الأنفال: ٤٢].

وقد أمرنا الله عزَّ وجلَّ أن نرجع عند الاختلاف ونتحاكم عند النزاع إليه وإلى رسوله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فقال عزَّ من قائل: ﴿فَإِنْ نُنزِعُكُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللَّهِ وَالرَّسُولِ إِنْ كُنْتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ ذَلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلًا﴾ [النساء: ٥٩].

وعلى هذا النهج سار سلفُ هذه الأمة من الصحابة والتابعين، ومن سلك نَهَجَهُم وخطى خُطَاهُم.

ومن هؤلاء شيخ الإسلام أحمد بن عبدالحليم ابن تيمية الذي أَلَّفَ هذ العقيدة المسماة ((العقيدة الواسطية)) نسبة إلى واسط^(١)، وهي -أيضاً- عقيدة وَسَطِيَّة كما جاء فيها وصفُ أهلها بأنهم: ((وسطٌ في فرق الأمة؛ كما أن الأمة هي الوسط في الأمم، فهم وسطٌ في باب صفات الله سبحانه وتعالى بين أهل التَّعْطِيلِ

(١) بلدة أنشأها الحجاج بن يوسف الثقفي، عامل الخليفة الأموي عبد الملك بن مروان، في موضع جنوبي العراق، يتوسط بين الكوفة والبصرة، وسميت واسطاً لتوسطها. انظر: (تاريخ واسط) لبحشل (ص ٢٢). وحالياً (واسط) محافظة وسط العراق، عاصمتها (الكوت) تبعد عن بغداد جنوباً ١٨٠ كيلو متراً.

الجهميّة وأهل التّمثيل المشبّهة، وهم وسطٌ في باب أفعال الله بين
الجبريّة والقدريّة وغيرهم.. الخ))؛ فهي -إذاً- واسطيّة وسطيّة.

وهذه العقيدة من أكثر العقائد السّلفية سهولة ويسراً، مع
وضوح في العبارة، وصحّة في الاستدلال، واختصارٍ في الكلمات،
وقد وُضِعَ لها القبولُ في الأرض، فتلقّفها طلاب العلم ودَرَسُوها
وتدارَسُوها ، وحفظوها جيلاً بعد جيل، وهي بحقّ من أجمع
وأخصر ما كُتِبَ في عقيدة أهل السنة والجماعة.



ترجمة موجزة لشيخ الإسلام ابن تيمية

نسبه ومولده:

هو أحمد بن عبد الحليم بن عبد السلام بن عبد الله بن الخضر ابن محمد بن الخضر بن علي بن عبد الله ابن تيمية الحرّاني.

أما عن لقب (تيمية)؛ فقد قيل: إن جده الخامس محمد بن الخضر حجّ على درب تيماء، فرأى هناك طفلة، فلما رجع وجد امرأته قد ولدت له بنتاً، فقال: يا تيمية، يا تيمية؛ نسبة إلى تيماء، بلدة بالقرب من تبوك، فلُقّب بذلك.

وقال ابن النجّار: ((ذُكِرَ لنا أن جدّه محمداً كانت أمّه تسمّى تيمية، وكانت واعظة، فنُسب إليها، وعُرِفَ بها))^(١).

ولد يوم الاثنين، في العاشر من شهر ربيع الأول من سنة (٦٦١) بحرّان من أرض الشام. يلقّب بشيخ الإسلام تقي الدين، ويكنّى بأبي العباس.

(١) انظر: ((العقود الدرّية)) لابن عبد الهادي (ص ٤).

أسرته:

أسرة آل تيمية من الأسر العريقة بجزان، وقد اشتهرت بالعلم والدين:

- فجدّه: أبو البركات، مجد الدين، من كبار أئمة الحنابلة، ومن مؤلفاته ((المنتقى من أخبار المصطفى)) الذي شرحه الشوكاني في كتابه ((نيل الأوطار شرح منتقى الأخبار)).

- ووالده: شهاب الدين، عبد الحليم، أبو المحاسن، تولى المشيخة بعد والده، وعلم ولديه أبا العباس وأبا محمّد.
- وأخوه: أبو محمد، شرف الدين، تفقه في المذهب الحنبلي، وبرع فيه.

شيوخه:

يقول تلميذه ابن عبد الهادي: ((وشيوخه الذين سمع منهم أكثر من مئتي شيخ))^(١).

(١) ((العقود الدرّية)) (ص ٤).

ومن أشهرهم:

١- شمس الدين، أبو محمد عبد الرحمن ابن قدامة، المقدسي،
المتوفى سنة (٦٨٢).

٢- أمين الدين، أبو اليُمن، عبد الصمد بن عساكر،
الدمشقي، الشافعي، المتوفى سنة (٦٨٦).

٣- شمس الدين، أبو عبد الله، محمد بن عبد القوي بن
بدران، المرادوي، المتوفى سنة (٧٠٣).

تلاميذه:

كان شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله وما زال مدرسة عريقة،
تتلمذ فيها في عصره كثيرٌ من العلماء، ولا يزال يتلمذ عليها إلى
يومنا هذا عبر مؤلفاته الجُمِّ الغفير من العلماء وطلبة العلم.

ومن أشهر من تتلمذ على يده:

١- الحافظ يوسف بن عبدالرحمن المزني، صاحب كتاب
(تهديب الكمال))، المتوفى سنة (٧٤٢).

٢- شمس الدين ابن عبد الهادي المقدسي، صاحب كتاب

((الخرر))، و((الصارم المنكي))، المتوفى سنة (٧٤٤).

٣- شمس الدين محمد بن أحمد الذهبي، المتوفى سنة (٧٤٨).

٤- شمس الدين إبراهيم بن محمد ابن قيم الجوزية، المتوفى

سنة (٧٥١).

٥- شمس الدين محمد ابن مفلح، صاحب كتاب ((الفروع))،

و((الآداب الشرعية))، المتوفى سنة (٧٦٣).

٥- عماد الدين إسماعيل بن عمر ابن كثير، صاحب

((التفسير))، المتوفى سنة (٧٧٤).

مذهبه:

نشأ حنبلياً، ثم صار ((لا يفتي بمذهب معين؛ بل بما قام الدليل عليه عنده، ولقد نصر السنة المحضة، والطريقة السلفية، واحتج لها ببراهين ومقدمات وأمور لم يسبق إليها، وأطلق عبارات أحجم عنها الأوّلون والآخرون وهابوا، وجسّر هو عليها))^(١).

عقيدته:

يجيبنا هو عن عقيدته بقصيدة نظمها، فقال:

(١) من كلام تلميذه الذهبي، انظر: ((الرد الوافر)) (ص ٧).

يا سَائِلِي عن مَذْهَبِي وَعَقِيدَتِي رُزِقَ الْهُدَى مَنْ لِهِدَايَةِ يَسْأَلُ
 اسْمَعْ كَلَامَ مُحَقِّقٍ فِي قَوْلِهِ لَا يَنْتَنِي عَنْهُ وَلَا يَتَبَدَّلُ
 حُبُّ الصَّحَابَةِ كُلِّهِمْ لِي مَذْهَبٌ وَمَوَدَّةُ الثُّرَيِّ بِهَا أَتَوَسَّلُ
 وَلِكُلِّهِمْ قَدْرٌ عَلَا وَفَضَائِلُ لَكِنَّمَا الصِّدِّيقُ مِنْهُمْ أَفْضَلُ
 وَأَقُولُ فِي الْقُرْآنِ مَا جَاءَتْ بِهِ آيَاتُهُ فَهُوَ الْكَرِيمُ الْمُنَزَّلُ
 وَأَقُولُ قَالَ اللَّهُ جَلَّ جَلَالُهُ وَالْمُصْطَفَى الْهَادِيُّ وَلَا أَتَأَوَّلُ
 وَجَمِيعُ آيَاتِ الصِّفَاتِ أَمْرٌ بِهَا حَقًّا كَمَا تَقَلُّ الطَّرَازُ الْأَوَّلُ
 وَأَرَدْتُ عُهْدَتَهَا إِلَى ثِقَالِهَا وَأَصُونُهَا عَنْ كُلِّ مَا يُتَحَيَّلُ
 فَتَبَحَّ لِمَنْ تَبَدَّ الْقُرْآنَ وَرَاءَهُ وَإِذَا اسْتَدَلَّ يَقُولُ قَالَ الْأَخْطَلُ
 وَالْمُؤْمِنُونَ يَرَوْنَ حَقًّا رَبَّهُمْ وَإِلَى السَّمَاءِ بِعَيْرِ كَيْفٍ يَنْزِلُ
 وَأَقْرُبُ بِالْمِيزَانِ وَالْحَوْضِ الَّذِي أَرْجُو بِأَيِّ مِنْهُ رَبًّا أَنْتَهَلُ
 وَكَذَا الصِّرَاطُ يُمَدُّ فَوْقَ جَهَنَّمَ فَمُسَلَّمٌ نَاجٍ وَأَحْرُ مُهْمَلُ
 وَالنَّارُ يَصْلَاهَا الشَّقِيُّ بِحِكْمَةٍ وَكَذَا التَّقِيُّ إِلَى الْجِنَانِ سَيَدْخُلُ
 وَلِكُلِّ حَيٍّ عَاقِلٍ فِي قَبْرِهِ عَمَلٌ يُقَارَنُهُ هُنَاكَ وَيُسْأَلُ
 هَذَا اعْتِقَادُ الشَّافِعِيِّ وَمَالِكٍ وَأَبِي حَنِيفَةَ ثُمَّ أَحْمَدَ يُنْقَلُ
 فَإِنَّ ابْتِغَتْ سَبِيلَهُمْ فَمُؤَفَّقٌ وَإِنْ ابْتَدَعْتَ فَمَا عَلَيْكَ مُعَوَّلٌ ^(١)

وهذه العقيدة الواسطية التي بين يديك فيها عقيدته تفصيلاً.

(١) انظر: ((جلاء العينين في محاكمة الأحمدين)) (ص ٥٨).

مؤلفاته:

وعن مصنّفاته يقول الذهبي: ((جمعتُ مصنّفات شيخ الإسلام تقي الدين أبي العباس أحمد ابن تيمية رحمته الله، فوجدتها ألفَ مصنّفٍ، ثم رأيتُ له أيضًا مصنّفات أُخر))^(١).

وقد صنّف تلميذه أبو عبدالله ابن رُشَيْق المالكي (ت: ٧٤٩) كتابًا سماه: ((أسماء مؤلّفات شيخ الإسلام ابن تيمية))^(٢).

وكانت له اليد الطولى في حسن التّصنيف، وجوّد العبارة، والترتيب، والتقسيم، والتبيين؛ شهد له بذلك خصمه ابن الزّمْلَكاني^(٣).

وكان يعرف اللغة العبريّة (اليهودية)، ويُفهم ذلك من قوله: ((والألفاظ العبرية تقارب العربية بعض المقاربة، كما تتقارب الأسماء في الاشتقاق الأكبر، وقد سمعتُ ألفاظ التوراة بالعبرية من مسلمة أهل الكتاب، فوجدتُ اللغتين متقاربتين غاية

(١) انظر: ((الرد الوافر)) (ص ٧٢).

(٢) انظر: ((الجامع لسيرة شيخ الإسلام ابن تيمية)) (ص ٢٨٢).

(٣) انظر: ((الرد الوافر)) (ص ١٠٥).

التقارب، حتى صرث أفهم كثيراً من كلامهم العبري بمجرد المعرفة بالعربية))^(١).

صفاته الخلقية والخلقية:

أما صفاته الخلقية؛ فقد كان ذا كرم، مجبولاً عليه، لا يتصنعه، وكان شجاعاً، زاهداً في الدنيا، لا يتعلق منها بشيء، وكان يترك كثيراً من المباحات خشية الوقوع في المحرمات.

وأما صفاته الخلقية؛ فقد كان أبيض اللون، أسود شعر الرأس واللحية، قليل الشيب، شعره إلى شحمتي أذنيه، عيناه لسانان ناطقان، رنة من الرجال، بعيد ما بين المنكبين، جهوري الصوت فصيحاً، سريع القراءة، تعتره حدة، لكنه يقهرها بالحلم^(٢).

جهاده:

جاهد رحمه الله بلسانه وقلمه ويده، وحارب التتار، وحرّض المسلمين ضدهم، وتقدّم الصفوف في وقعة (شُحْبِ) سنة (٣) سنة

(١) ((نقض المنطق)) (ص ٩٣).

(٢) انظر: ((الدرر الكامنة)) لابن حجر (١/١٥١) نقلاً عن الذهبي.

(٣) في القاموس المحيط: (شُحْبِ: كَجَعْفَرٍ: ع قُرْبِ دِمَشْقِ).

(٧٠٢)، وصمد ضدّهم في يوم (مَرَجِ الصُّقْرِ)، ودخل على ملك التتار قازان، وكلمه كلامًا أثار دهشة الحاضرين لجرأته في الحق؛ كما هدّد سلطان مصر لما كاد يسلمّ بلاد المسلمين للتتار.

ثناء العلماء عليه: (١)

لقد أثنى على شيخ الإسلام أعداؤه وأقرانه قبل أصدقائه وتلامذته، حتى عدّ ابنُ ناصر الدين الدمشقي أكثر من ثمانين عالمًا من معاصريه أثنوا عليه، وأفرد لذلك كتابه الشهير ((الرد الوافر))؛ يرد فيه على محمد بن محمد العجمي الشهير بالعلاء البخاري المتوفى سنة (٨٤١) الذي زعم أن من قال عن ابن تيمية: شيخ الإسلام؛ فهو كافر!!

ومن هذا الكتاب استخرجتُ أقوالَ أشهر مشاهير علماء عصره وعصر المؤلف ابن ناصر الدين، ولم أورد ثناء مشاهير تلامذته له؛ أمثال: ابن القيم، وابن كثير، وابن عبد الهادي؛ لأنها كثيرة ومعروفة.

(١) أطلت الكلام هنا إيفاء بحق هذا الإمام، وردًا على شبه المغرضين.

فممن أثنى عليه خيرًا، وبين منزلته من الإسلام:

١- ابن سيّد الناس، صاحب ((عيون الأثر في المغازي والشمائل والسير))، (ت: ٧٣٤)؛ قال رحمه الله:

((ألفيته ممن أدرك من العلوم حظًا، وكاد أن يستوعب السنن والآثار حفظًا، إن تكلم في التفسير؛ فهو حامل رايته، أو أفتى في الفقه؛ فهو مدرك غايته، أو ذاكّر في الحديث؛ فهو صاحب علمه وذو روايته، أو حاضر بالملل والنحل؛ لم ير أوسع من نحلته في ذلك، ولا أرفع من درايته، برز في كل فنّ على أبناء جنسه، ولم تر عين من رآه مثله، ولا رأت عينه مثل نفسه)).

٢- شمس الدين الذهبي الشافعي المذهب، صاحب ((سير أعلام النبلاء))، (ت: ٧٤٨)؛ قال رحمه الله:

((هو أكبر من أن يُنبّه مثلي على نعوته، فلو حُلِّفتُ بين الركن والمقام؛ لحلفت: أني ما رأيت بعيني مثله، ولا والله ما رأى هو مثل نفسه في العلم)).

وقال في موضعٍ آخر: ((قرأ القرآن والفقه، وناظر واستدلَّ وهو دون البلوغ، برع في العلم والتفسير، وأفتى ودرّس وله نحو العشرين، وصنّف التصانيف، وصار من أكابر العلماء في حياة شيوخه، وله المصنّفات الكبار التي سارت بها الركبان، ولعلّ تصانيفه في هذا الوقت تكون أربعة آلاف كراس وأكثر، وفسّر كتاب الله تعالى مدّة سنين من صدره في أيام الجُمع، وكان يتوقّد ذكاء، وسماعاته من الحديث كثيرة، وشيوخه أكثر من مئتي شيخ، ومعرفته بالتفسير إليها المنتهى، وحفظه للحديث ورجاله وصحته وسقمه فما يلحق فيه، وأما نقله للفقه ومذاهب الصحابة والتابعين - فضلاً عن المذاهب الأربعة - فليس له فيه نظير، وأما معرفته بالملل والنحل والأصول والكلام؛ فلا أعلم له فيه نظيراً، ويدري جملة صالحة من اللغة، وعربيّته قويّة جداً، ومعرفته بالتاريخ والسّير فعجب عجيب، وأما شجاعته وجهاده وإقدامه؛ فأمر يتجاوز الوصف، ويفوق الثّعوت، وهو أحد الأجواد الأسخياء الذين يُضرب بهم المثل، وفيه زهدٌ وقناعةٌ باليسير في المأكل والملبس)).

٣- تقي الدين السُّبكي الشافعي (ت: ٧٥٦): بيّن رحمه الله أن

ابن تيمية يتحقق فيه:

((كبر قدره، وزخارة بحره، وتوسعه في العلوم الشرعية والعقلية، وفرط ذكائه واجتهاده، وبلوغه في كلِّ من ذلك؛ المبلغ الذي يتجاوز الوصف...)).

إلى أن قال: ((وقدره في نفسي أعظم من ذلك وأجل، مع ما جمع الله له من الزَّهادة، والورع، والديانة، ونصرة الحق والقيام فيه لا لغرضٍ سواه، وجره على سنن السلف، وأخذه من ذلك بالأخذ الأوفى، وغرابة مثله في هذا الزمان، بل من أزمان)) ا.هـ.

٤- السُّبكي، محمد بن عبد البر الشافعي، (ت: ٧٧٧)؛ قال

رحمه الله:

((ما يُبغض ابن تيمية إلا جاهل أو صاحب هوى، فالجاهل لا يدري ما يقول، وصاحب الهوى يصدُّه هواه عن الحق بعد معرفته به)).